السيرة الذاتية النسائية السعودية: الوظائف والأهداف.
هدى الدغفق أنموذجا

إعداد
د/عبير بنت مدو بن مرفوع العنزى

الأستاذ المشارك بقسم الأدب والبلاغة والنقد كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية

المستخلص :
انطلاقا من الحضور الفريد للكاتبة السعودية ، وتزايد إبداعها في مختلف ميادين الأدب الذاتي ينطلق هذا البحث في دراسة السيرة الذاتية النسائية السعودية؛ لاستجلاء وظائف الكتابة وأهدافها من خلال نصوص تحمل تجربة حقيقية، فهي المعبرة عن حالة الكاتبة من خلال تصوير حالتها النفسية وعلاقتها بالأسرة والمجتمع بناء على ثقافتها المنتمية إليها معبرة عن ذاتها من خلال بواعث مضمرة.
لذا فإن هذا البحث يهدف إلى الكشف عن قضايا تحاكمها العادات والتقاليد في مجتمع الكاتبة (هدى الدغفق) فكان البوح معبرًا عن الرفض والتمرد على الأسرة والمجتمع فرسمت من خلال السيرة الذاتية عجزها عن تغيير الواقع فكانت الكتابة إشباعاً لرغبة التغيير التي تعذرت. فالكاتبة تعيش حياة أخرى من خلال كتاباتها. واستفاد البحث مما يتيحه المنهج الوصفي من آليات.

الكلمات المفتاحية: البوح، الأهداف، الوظائف، الأسرة، المجتمع، التمرد .

Saudi women's CV: jobs and goals. Hoda Al-Daghfaq is a model

Abstract:

Based on the unique presence of the Saudi writer, and her increasing creativity in various fields of autobiography, this research sets out to study the autobiography of Saudi women. To clarify the functions and goals of writing through texts that carry real experience, as they express the writer's state by depicting her psychological state and her relationship with family and society based on the culture to which she belongs, expressing herself through implicit motives.

Therefore, this research aims to reveal issues governed by customs and traditions in the society of the writer (Huda Al-Daghfak). Revelation was an expression of rejection and rebellion against the family and society, so she depicted through her autobiography her inability to change reality, so writing was a satisfaction of the desire for change that was impossible. The writer lives another life through her writing. The research benefited from the mechanisms provided by the descriptive approach.

Keywords: disclosure, goals, jobs, family, society, rebellion.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا ، ثم أما بعد ،،

فالسيرة الذاتية من الفنون الأدبية الرائدة، فهل يمكن أن نعد السيرة الذاتية جنساً أدبيًا مستقلا بذاته؟ سعى منظرو الأدب إلى رسم الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية والأجناس السردية القريبة منها ولعل أوشج هذه الأجناس قربى ما يعرف بالمذكرات فكثيرا ما استعمل هذا المصطلح بمعنى السيرة الذاتية ، وكثيرا ما وشحت كتب السيرة الذاتية بعبارة " مذكرات" وبها تعقد مع المتلقي ميثاق قراءة ولكنه ميثاق زائف لأن الحد الفاصل بين السيرة الذاتية والمذكرات قائم ، فالسيرة الذاتية على خلاف المذكرات تروي أحداثا شخصية وتنأى عن سرد الأحداث العامة في حين تركز المذكرات عادة على تدوين الأحداث دون التعليق على الحياة الشخصية لكاتب المذكرات[١]

" وتكتسب السيرة الذاتية قيمتها من وعي الكاتب ذاته بأهميتها، فالحياة التي ترويها والتي عاشها مؤلفها يجب أن تكون جديرة بأن تروى . فما من حياة شخصية تروى عاشها صاحبها عبثا وعلى هذا النحو يعبر المرء على معنى وجوده حسب عبارة جورج ماي. فالسيرة الذاتية تنشأ من رغبة الكاتب في استعادة مسار حياته ليدركه وليهنأ باله بما ينتهي إليه من نتائج تطمئنه إلى أنه رغم الحوادث والتناقض والفشل والنكوص على الأعقاب والتردد والتنكر لايزال كما كان وأن الهوية الأثيرة للأناء لم يمسسها سوء."[٢]

"كانت كتابة السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية لفترة طويلة حكرا على الرجال. مما حد من شيوع السرود الذاتية وتنوعها. وظلت تجارب المرأة السعودية ، بما تواجهه من تحديات وطموحات وضغوط مجتمعية ناقصة التمثيل. وإدراكا لهذا التفاوت الصارخ . شرعت بعض الكاتبات السعوديات في رحلة جريئة لكتابة السيرة الذاتية وإعادة تعريف هذا النوع الأدبي من خلال إنتاج بعض النماذج السير ذاتية الجديدة المختلفة.[٣] "وبرزت عربياً أسماء رائدة في السيرة النسوية ، مثل: لطيفة الزيات ، ونوال السعداوي ، وفدوى طوقان ، وغيرهن ، حيث شهدت السيرة الذاتية النسوية نشاطاً كبيراً حتى نهاية القرن العشرين.

فوجدت الأديبات في الوسائل الأخرى ملاذاً آمناً للكشف عن سيرهن الذاتية وسرد تجاربهن بأسلوب غير مباشر ، عبر الرواية والمقالة واللقاءات الصحفية والقصص القصيرة، ولم تظهر السيرة الذاتية الصريحة إلا على يد قلة منهن ، مثل ليلى الجهني التي كتبت سيرتها " أربعون في معنى أن أكبر" والتي تلتها عدة سير ذاتية نسائية ، مثل سيرة أميمة الخميس " ماضي مفرد مذكر"، وسيرة هدى الدغفق " أشق البرقع .. أرى"، ثم تسارعت الوتيرة قليلاً بعد أن تحسنت الظروف الاجتماعية إلا أن المقارنة لصالح الكاتب الرجل".[٤] ويعود هذا إلى رفض الكاتبات التعايش مع الواقع ، فالسيرة الذاتية تتجاوز حدودها السردية عند الكاتبات السعوديات وتتحول إلى جسور بينهن وبين أحلامهن ، ليبثن من خلالها رسالة عن عمق الحاجة للتواصل.

---

[١] عندما تتكلم الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث): محمد الباردي ، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٥ن، ص٩(بتصرف)

[٢] عندما تتكلم الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث): محمد الباردي ، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٥ن، ص٦٦.

[٣] السير الذاتية النسائية السعودية وسؤال التجريب: أ. د صالح معيض الغامدي، جريدة الجزيرة، السبت، ٢٦ يناير، ٢٠٢٤.

[٤] السيرة الذاتية النسوية تخشى البوح : سارة الجهني، الوطن، ٢٢ ديسمبر، ٢٠٢٢م(بتصرف)

" ووفقا للدكتورة أمل التميمي ؛ فإن نزعة السيرة الذاتية النسائية بدأت في أوائل القرن العشرين على مقالات ذات طابع شخصي في الأساس ، ومع ذلك ، لم تظهر السيرة الذاتية النسائية بوضوح إلا في الخمسينيات من القرن الماضي؛ لتصل إلى مرحلة النضج في الثمانينات منه"(١)

"ولكن يستقبل النتاج النسائي خاصة السيري منه بكثير من التوجس ، باعتبار الكتابة في حد ذاتها لحظة عري ، لايجوز للمرأة ممارستها لارتباطها بحياتها والحياة الخاصة ممن تربطها بهم علاقة، فوجدت في السيرة الذاتية متنفسا ومجالا رحبا يتسع لهمومها التي تراكمت سنين طويلة ، في مجتمع ذكوري يهيمن على حياتها الاجتماعية وعلى إبداعها، ولكن في الوقت الذي تحاول فيه المرأة العربية المبدعة الإفلات من رقابة المجتمع الذكوري ، من خلال جنس السيرة الذاتية الذي يضمن لها حرية التعبير الكامل عن ذاتها، تصطدم بصرامة ميثاقه السيري الذي يلزمها بذكر الحقيقة كاملة كما حصلت في الواقع، دون تزييف أو تحوير ، فينتابها خوف عارم من كشف المستور.(٢)

بدأ ظهور السيرة الذاتية النسائية في بواكير القرن العشرين، وتبلورت بدايتها على شكل مقالات وكتابات عابرة، ولم تكن بصورة عامة سيرة ذاتية خالصة بل اختبطت فيها المذكرات واليوميات وغير ذلك ، وفي الخمسينيات من القرن الماضي تعالت نبراتها ، ونضجت في الثمانينيات منه، ويمكن القول: إن الكتابة في فن السيرة الذاتية حتى ماقبل ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م في أدبنا السعودي كانت مقصورة على الرجل ، ولذلك فإن كتابة المرأة عن نفسها عبر مذكرات أو ذكريات تنشر في الصحف والمجلات يعد لونا طريفا في الكتابة في الأدب السعودي كان غائبا مدة طويلة ، وليس بالمستغرب تأخر إسهام المرأة في هذا الفن عن الرجل، ذلك أن تعليم المرأة في المملكة الدولة رسمياً إلا عام ١٣٧٩ه.(٣)

" قبل الشروع في عملية البوح وكتابة الذات، وقبل الخوض في دهاليز ها الصعبة ، قد يقف الأديب مقدما ميثاقه القرائي ، ومسائلا نفسه لماذا أكتب سيرتي؟ وما الذي يمكن أن أقدمه مختلفا عمن سبقني لنفس التجربة؟ وما المحاذير التي يجب توخيها ؟ وما الصورة التي سأبدو عليها بعد طرح السيرة للتلقي؟

السيرة الذاتية عادة لاتكتب استجابة لدافع واحد ، بل لدوافع مختلفة ومتداخلة قد يكون الكاتب وعي بها مجتمعة وقد لايكون . لذلك لاتتشابه الدوافع والأهداف الكامنة وراء كتابة السيرة الذاتية لاختلافها من كاتب إلى آخر، وتتفاوت درجة أهميتها ومركزيتها من سيرة ذاتية إلى أخرى ، ويمكن إحالة هذه الأسباب إلى: مراجعة النفس الإنسانية وفيها يتم عرض مواطن الإصابة والزلل على حد سواء ، أو تخليد التجربة الحياتية وفيها لن يقدم الكاتب إلا صورة مثالية عن الحياة التي عاشها ، أو تقديم صورة جديدة تختلف عما هو معروف ، أو الدفاع عن النفس وإبراء الذمة ، أو تحقيق أهداف تربوية وتعليمية لتوعية القراء ودفعهم إلى أخذ العظة والعبرة . وحديثا ظهرت دوافع جديدة تعلقت بعرض تجربة المرض المريرة ورحلة العلاج ، أو خوض تجربة إبداعية تتمثل في ممارسة فعل الكشف أمام الآخرين وبيان مدى الرضا عن الذات والتركيز على عمليتي الاتصال والتفاعل بين الكاتب والمتلقي ، أو الشهرة وطلب المال ."(٤)

تقول أمل التميمي : "مافكرت يوما أن في استطاعتي الكتابة عن حياتي خوفاً من الكذب أو الاختلاق ، فما أستطيع قول الحقائق في بعض جوانبها. كتاب حياتي الحقيقي حقائق لاتغادره صغيرة

---

(١) السيرة الذاتية النسوية تخشى البوح: سارة الجهني، المجلة العربية ، ع٥٧٨، نوفمبر ، ٢٠٢٤م.

(٢) التحايل على الميثاق السير ذاتي في السيرة الذاتية النسائية: ويزة غربي، البليدة، مجلة الآداب واللغات ، مج ٧، ع٢" البليدة، ٢٠١٨م، ص٣١٧.

(٣) الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي : سامي عبد اللطيف الجمعان، حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، مج ٢٧، ٢٠٢٣م، ص٦٨١.(بتصرف)

(٤) كتابة الذات بين المجابهة والمكاشفة قراءة ثقافية في (أشق البرقع أرى):وصفي ياسين عباس، مجلة البحث العلمي ، ج٥، كلية العلوم والآداب بمحايل عسير،جامعة الملك خالد، ٢٠٢٠م، ص١٤٧.

ولاكبيرة أحصتها الملائكة الكرام الكاتبون، نسيت بعض الأحداث وتناسيت بعضها ، وفي ذاكرتي الكثير من تفاصيل الألم، فذاكرة الطفولة(الطاغية) هي الذاكرة المستعادة دائما ، وهي الشريط الجميل الذي أراه بعدة ألوان؛ لذلك سأركز على ذاكرتي المستعادة دائما والملهمة لحياتي"[١]

ومن الأسباب التي تدعو الكاتبة السعودية إلى كتابة سيرتها الذاتية تعود إلى رغبة الكاتبة الداخلية في الاعتراف والبوح ؛إما رغبة في التغيير أو تعبيرا عن الرفض والتمرد فتحقق بذلك لذة الانتصار التي تسيطر على أفكارها .

فتكتب السيرة الذاتية عادة استجابة لمجموعة من الدوافع المتنوعة المتعددة، التي قد يعيها الكاتب أو لا يعيها مجتمعه، ولكن بعضها يكون واضحا ومسيطرا. وفي نماذجنا السيرية هذه، نجد أن الحاجة أو الرغبة في الدفاع عن حقوق المرأة في المجتمع. فالدغفق كانت تركز كثيراً على القضايا الأدبية والإبداعية، وعلى العقبات والإكراهات التي كانت تواجه الكاتبة في مجتمعها، وإن كانت بالطبع لاتهمل القضايا الأخرى.[٢]

للطبيعة دور في تغذية خيال هدى شعراوي وفدوى طوفان ، لقد كانت الطبيعة تمثل لهما الملجأ الروحي والنفسي الذي يشعران فيه بحريتهما بعيدا عن قيود المنزل ، والذي منحهما القدرة على التأمل والتفكير ومعرفة الذات ، وهما ماكانت تفتقده أي امرأة سعودية متعلمة .. على الرغم من ندرة المتعلمات آنذاك. كما أن عدم تعرض المرأة السعودية لصدمة الاستعمار والخبرات النضالية ، أسوة بما تعرضت له المرأة في الدول العربية هو سبب آخر لعدم نضوج الوعي السياسي والنسوي. فقد ظلت الجزيرة العربية بمنأى عن الاستعمار الأجنبي ، الذي أثر بشكل أو بآخر على مسيرة المرأة العربية وشكل وعيها.[٣]

" إن السيرة الذاتية ليست مجالا ضيقا أو محدودا ، بل نوعا يدفع إلى الانفتاح على مجالات أخرى، على التحليل النفسي وعلم النفس والسوسيولوجيا والتاريخ ، مما يؤدي إلى وجود عدة اتصالات وعلاقات تجعل الاهتمام بالذات ممزوجا في نهاية المطاف بالانصات للآخر"[٤].

يعد النص السير ذاتي كاشفا لهوية صاحبه ، فمن خلاله تثبت صفات الذات الساردة إذ تمثل السيرة الذاتية تاريخ ذات تتوصل إلى الوعي بذاتها من خلال قوى الوعي والعقل والتواصل مع الآخر ، ويتم تشكيل الذات وتجسيد بنيتها النفسية والاجتماعية والثقافية والأيديولوجية من خلال ميثاق شخصي يندمج فيه المؤلف الواقعي والراوي والشخصية الرئيسية. وقد حدد فليب لوجون البعد الاصطلاحي للسيرة الذاتية بوصفها حكيا استعداديا نثريا يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته بصفة عامة."[٥]

إن فعل كتابة الذات عن نفسها هو فعل يخرج عن القولية الشكلية ، التي تفترض معايير تخص السيرة الذاتية ، إن فعل الكتابة والتأمل يتحرر دائما من أية معايير شكلية أو تقليدية ، فالشكل الذي تكتب به الذات عن نفسها تمليه طبيعة الكتابة ، أو طبيعة التأمل لذاكرة الذات التي تكتب .[٦]

لقد ساعدت الكتابة على تحقق وجود الكاتبة الداخلي ؛ إذ تشعر بأنها حققت ذاتها إزاء الشعور بالغربة النفسية ، وعدم الاستسلام للأمر الواقع فكانت الكتابة بمثابة التعويض التي لجأت إليه الكاتبة ، في محاولة انتصار للذات.

---

(١) أمل التميمي: في مشلح أبي ،الدار العربية للعلوم ، ٢٠٢٢م، ص١٧

(٢) مجلة العربية : السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية: صالح معيض الغامدي، المجلة العربية، ٢١-٩-٢٠١٧م(بتصرف)

(٣) علامات، ج٦٦، مج١٧، شعبان ١٤٢٩.

(٤) السيرة الذاتية(الميثاق والتاريخ الأدبي): فيليب لوجون، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز الثقافي العربي ، ص١٨

(٥) ينظر: السيرة الذاتية وإشكالية التجنيس : عراج الهوارية، جامعة وهران، مجلة أبحاث ع ٢، ٢٠١٤، ص٢٢٤.

(٦) على ضفاف بحيرة الهايدبارك : مصطفى بيومي عبد السلام: علامات، ج٦٦، مج ١٧، ١٤٢٩،ص ٣٢٩(بتصرف)

حتى وإن كانت كتابتها عن نفسها غير صريحة إلا أنها عبرت عن ذاتها من خلال الفنون الآخرى.

وفي محاولة تغير المجتمع من خلال موقف الذات تسرد الكاتبة سيرتها الذاتية لتعبر عن شعور داخلي؛ فالسيرة الذاتية كانت متنفسا للكاتبات للحديث عن حياتهن وأحلامهن. فهدى الدغفق تستخدم حياتها وعلاقتها بالأسرة والمجتمع لترصد نمط الحياة التي تعيشها في العقود الماضية عن طريق الوصف واسترجاع الأحداث بذكر التاريخ وتفاصيل الحدث.

تقول هدى الدغفق" في أمسية أخيرة لي في جدة ، خلال مهرجان الجنادرية أبريل٢٠١١م، أصررت على أن ألقي شعري من المنبر المخصص للشعراء ، قررت في لحظة شجاعة ، وربما لحظة طيش ، أن أحطم ذلك الحاجز الزجاجي الذي يفصل النساء عن الرجال في القاعة ، وأقتحم المنبر، لكن هذه الحادثة ألهبت القاعة في سجال صاخب، بين محتج ومعاضد" (١)

فالكاتبة تصف قرارها بالشجاع لأنها وقفت في مكان مخصص للشعراء(الرجال) وهذا من دلائل التمرد على النظام الاجتماعي المحافظ في تلك الفترة.

الكتابة المتنفس الوحيد لهدى الدغفق؛ للتعبير عن ذاتها ، فالسيرة الذاتية ملاذها في وقت لا يسمع فيه صوت المرأة، لكن حنان الأب وعطفه على بناته يظل الأقوى في الدعم بالرغم من معارضة من حوله ، فالأنثى القوية في الغالب خلفها أبا يشجعها، تقول:

" كان موقف أبي المحايد مني فيما يخص مسألة النشر والكتابة مشجعا لي على التمسك بالكتابة، أليست الكتابة قدري وملاذي ولذتي؟ كان يخبرني أحيانا وأنا أجلس إلى جواره ، عن ثناء بعض أصحابه على قلمي ، وكذلك عن محاولة بعضهم مضايقته ، ومحاولته استيعاب مواقفهم ولومهم إياه على إنه بالكتابة والنشر.. النشر باسمي لم يقد أبي إلى أن يقف مني موقفاً سلبيا، بل ظل يحيطني بحنانه وتقبله"(٢) فكأنها تقول إنه لم يكن موافقا لكن بنفس الوقت لم يكن رافضا لرغبتها .فموقفه المحايد ما هو إلا صورة تعكس الخوف من انتقادات المجتمع . فالأب لم يكن داعما لها بقدر ما هو حنان الأب على بنته .

فكاتبة السيرة الذاتية تحاول من خلال كتاباتها معالجة الأفكار السائدة حولها من خلال نقدها ؛ فلكل مجتمع مشاكلة وصعوباته التي لا يمكن أن تحل مباشرة . فالبوح من خلال الكتابة والتعبير من خلال الغوص داخل النفس بمثابة العلاج الذي يساعد الكاتبة على الاستمرار في الحياة."

تقول هدى " أغوص داخلي لأستل الأزمات التي تقطنني؛ فهي كالمرض المزمن تشعرني بالعجز"(٣)

" في علم الاجتماع التمرد هو محاولة فردية لتغيير الواقع الاجتماعي، غير أن هذه المحاولة وبسبب فرديتها، محكوم عليها بالفشل ، ذلك أن تغيير الواقع يحتاج إلى ثو رة اجتماعية أو إلى مدى تاريخي . بمعنى أن للفرد نزعة تمردية ضد الظروف الاجتماعية القاهرة من أجل تحقيق الرفاهية ، ولكن عاجز عن تحقيق هذا الهدف الذي يسعى إليه لأنه بحاجة إلى تظافر عدة عوامل من أجل تغيير هذا الواقع "(٤)

جسدت الكاتبة هدى الدغفق في نصوصها حياة وواقعا لا يناسب شخصيتها وأحلامها بسبب القيود المفروضة عليها في نموذج المرأة التي تحاول تغيير المجتمع من حولها من خلال هذا النقد .

ونلحظ رفض الكاتبة الاستسلام والتعايش مع الواقع من حولها معلنة قوتها وصلابتها .

فالتمرد وعدم الرضا بالنمطية والخروج على النظام العائلي كان من الصفات التي تحاول من خلالها الكاتبة إثبات الذات ، فالكاتبة تحتفي بهذا التمرد في سيرها محاولة تحقيق التوازن النفسي

---

(١) هدى الدغفق : أشق البراقع.. أرى، جداول للنشر والتوزيع ، لبنان ، ٢٠١١م، ص٧٩.

(٢) هدى الدغفق: أشق البرقع .. أرى، ص٨٥

(٣) هدى الدغفق: أنشر قلبي على حبل الغسيل، ص٦

(٤) تمظهرات التمرد في الرواية السعودية" :رضوان سليماني، جسور المعرفة ، ع ٢، مج ٨، ٢٠٢٢م، ص٤١١

الداخلي . " إن التمرد هو رفض الفرد وسائل المجتمع وأهدافه والبحث عن تبديلها بأهداف ووسائل مغايرة غير مقبولة للمؤسسات الاجتماعية في المجتمع ، وهو رفض الثقافة السائدة والبناءات الاجتماعية والبحث عن تبديلها بواحدة جديدة عن طريق الثورة والتمرد".[١]

تقول: "وبفضل شغبي لم أرضخ إلى وصاية ما ولا لنبرة متطفلة ، وظل مسحورا برؤيته البعيدة كل اتجاه فيّ إذ تمرنت جيدا على الخروج عن جماعة العائلة في سن مبكرة كنت ولم أزل على رفضي للنمطي . لم يسبق لي إلزام نفسي بنظام، ولا منهجية لتمردي. فالتمرد – في رأيي- هو المنهج.[٢] فهذا الخروج عن النمطية أداة لمواجهة الواقع لتنتصر به على مرارة العيش.

وعن تمردها في سن مبكر ، بسبب ما تعانيه من فقدان للأمان الداخلي ، تلجأ للتمرد كنوع من التعويض عن القهر الذي تشعر به، وهي تعيش الانتصار ظاهريا في سيرها ، تقول في متطايرة حواسي: " ذات مرة طلب أخي أن أجلب له كوب ماء فقلت له اجلبه أنت . كرر طلبه فرفضت أيضا. ضرب أخي طرف جبيني بحوض الغسيل وأحدث ذلك جرحا بليغا ما زال أثره حتى اليوم ليذكرني بعصياني .كان عمري آنذاك أربعة عشر عاما أو أقل قليلا . لا أدري لماذا تجاهلت طلب أخي البسيط ، ولكني أفسر الموضوع بتمردي المبكر"[٣].

" كلما بكيت اختبأت في قبو بيتنا دون أن تشعر بي عائلتي ، فبرغم كثرة إخوتي نشأت خواطري على توهم أنني وحيدة وزاد شعوري الموجع ذاك من نزقي نحو أي شيء . انتباهها إلى دفتري الذي وضعته تحت وسادتي دفع أختي الكبرى أن تقرأ ما كتبت من شكاوى عائلية ، لأخبر أمي وبقية أخواتي فيما بعد أن تلك هي طريقتي في التعبير عن موقفي."[٤]

تركز هدى الدغفق في وصف شخصيتها على مستوى البعد النفسي في مختلف تفاصيلها ، فالتمرد ظاهرة بارزة في شخصيتها ، فتصرح بأنها مختلفة حتى عن أخواتها المتصالحات مع واقعهن

،تقول:

"في عداد أفراد عائلتي الذين يزيدون عن العشرة يأتي ترتيبي في الوسط . كنت قليلة الكلام ، قليلة اللعب ، أميل إلى الوحدة . عندما بلغت سن المراهقة ازداد حسي العاطفي رهافة وحدة . أضحى يثير انفعالي أي صوت أية حركة أي ضوء فائض عن المألوف . لا تجمعني بأخواتي طبائع ولا أمزجة. هن مستسلمات مطيعات أكثر مني .متصالحات مع أحوالهن بلا تذمر ولا شكاية"[٥]

اتخذت هدى الدغفق من اختلافها عزاء وتنفيساً لما تكنه في داخلها فهذا التصريح فيه نوع من الإشباع والرضا النفسي.

إن الكاتب العربي يتذكر ولا يسجل من وقائع حياته إلا ما علق بحبال الذاكرة ولا يروي الحدث الذي عاشه بقدر ما يروي رؤيته الشخصية لهذا الحدث .[٦]

" وغالبا ما يتحدد تطابق السارد والشخصية الرئيسية الذي تفرضه السيرة الذاتية ، من خلال استعمال ضمير المتكلم ، وهو ما يطلق عليه جيرار جينيت السرد والقصص الذاتي ، أثناء تصنيفه لأصوات الحكي ، وهو تصنيف أقامه انطلاقا من أعمال تخيلية، غير أنه يبين بوضوح كيف يمكن أن

---

(١) تمظهرات التمرد في الرواية السعودية" :رضوان سليماني، جسور المعرفة ، ع ٢، مج ٨، ٢٠٢٢م، ص٤٠٥

(٢) هدى الدغفق: متطايرة حواسي، أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، ص١٧

(٣) هدى الدغفق: متطايرة حواسي، أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، ص١٨

(٤) هدى الدغفق: متطايرة حواسي، ص١٨، ١٩.

(٥) هدى الدغفق: متطايرة حواسي، ص١٨.

(٦) عندما تتكلم الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث): محمد الباردي ، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٥ن، ص١٢٠

يوجد حكي بضمير المتكلم دون أن يكون السارد نفسه هو الشخصية الرئيسية وهو ما يطلق عليه ، بشكل موسع أكثر ، السرد مماثل القصة.[١]

وأيضا تقول:" طلب أخي أن أجلب كوب ماء ، فقلت له :اجلبه أنت ، كرر طلبه ، فرفضت أيضا ، ضرب أخي طرف جبيني بحوض الغسيل، وأحدث ذلك جرحا بليغا مازال أثره حتى اليوم ؛ ليذكرني بعصياني . كان عمري آنذاك أربعة عشر عاماً أو أقل قليلاً، لا أدري لم تجاهلت طلب أخي البسيط ، لكني أفسر الموضوع بتمردي المبكر".[٢]

إن عبارة : (وأحدث ذلك جرحا بليغا مازال أثره حتى اليوم) تعبر عن عمق الألم النفسي الذي تعيشه الكاتبة، وهي تصف لنا حياتها الشخصية وطبيعة علاقتها بإخوتها محاولة تسليط الضوء على مظهر التمرد وعدم الخضوع.

تفتقد هدى الدغفق عملها معلمة بعد تقاعدها المبكر لأنها تشتاق لتلك الصباحات المليئة بضجيج طالباتها.

" مريبة تلك الصباحات التي بدأتها بعد تقاعدي المبكر. افتقدت حلاوة تلك الأوجه الملهمة بملامحها ، أوجه تلميذاتي وهن يخفقن بنوارس أحلامهن حول أهدابي ، لأستعيد أسئلة جنوني بهن. كم أشتاقهن كل صباح ولا يجئن"[٣] فالحياة الهادئة البعيدة عن الضجيج هي ما اتسمت به الشذرات السيرية عند هدى الدغفق في أواخر الأربعين من عمرها بحثا عن السلام مع من حولها .

تقول هدى الدغفق: "عندما كنت في بيت العائلة كان أبي يناديني بصوته الجهوري ثلاث مرات متتالية : هدى هدى هدى ، وبيده الخبز الأسمر الساخن الذي جاء به بعد أن صلى الفجر، لأقفز درج البيت وأقبل رأسه . لي ولوالدي طقس أبوة خاص نغمس الخبز الأسمر في كأس الشاي الصغيرة ثم نرفع قطعة الخبز لتقطر بطعم خاص جداً طعم رائق متفق عليه بيني وبين أبي وبين الخبز والشاي . نشرب الخبز في الشاي والشاي في الخبز وتنفجر ضحكاتنا في وجنتي الصباح".[٤]

فالروتين الصباحي مع بساطة الحياة من الأمور التي توفر الأمان والطمأنينة عند هدى الدغفق وذكريات الطفولة مازالت عالقة في الذاكرة لتستعيدها في الحاضر.

كاتب السيرة وهو يكتب تجربته على علم بأنه لن يعود لها مرة أخرى ليغير فيها ويعدل في سبيل الدفاع عن الذات فنلحظ هدى الدغفق عندما كتبت في أواخر عمر الأربعين وبداية الخمسين ابتعدت عن الوضوح والأسلوب المباشر بحثا عن السلام مع الأهل والمجتمع يظهر هذا في كتابها " أنشر قلبي على حبل الغسيل" فالعنوان يحمل الكثير من الرمزية كأنها تقول إنها وصلت لمرحلة الجفاف من المشاعر والأحاسيس محاولة غسيل شعور الفوضى الداخلي .

واختارت من السرد أقصره وأكثره رمزية (القصة القصيرة جدا) لترمز لتفاصيل حياتها تقول" إنني قصة قصيرة جدا ، ربما كانت قصاصة ، كومة من التفاصيل ، لا أتصنع في حكايتي ، وأنا أقول: ما بين الكائنات من معارك يومية شرسة لا يرحب بإقامتي في هذا الواقع ؛

حيث يطاردني يأسي الذي كلما ابتعدت عنه طمرتني خنادقه الكثيرة وهويت فيها لأتيبس وأترك بعض صفاتي: كالأمل والطموح والبهجة للأجيال المقبلة، فهي لم تعد تصلح لي".[٥]

---

[١] السيرة الذاتية " الميثاق والتاريخ الأدبي": فيليب لوجون، ترجمة وتقديم عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ، لبنان، ١٩٩٤، ص٢٥.

[٢] هدى الدغفق: متطايرة حاسي، ص ١٨

[٣] هدى الدغفق: متطايرة حواسي، ص٦٣.

[٤] متطايرة حواسي ، ص٦٠

[٥] أنشر قلبي على حبل الغسيل: هدى الدغفق، دار رواشن للنشر، ٢٠١٩م.ص١٧

فالكاتبة تصف نفسها بالقصة القصيرة جدا أو الأقصوصة المليئة بالتفاصيل والمعارك ،ومدة وجودها (بالإقامة) وهي المدة القصيرة في مكان غير الوطن فهي تعبر عن رغبتها بالاحتواء والاستقرار ، واختارت القصة القصيرة جدا محاولة إثبات واقعها الدرامي والأحداث المكثفة الجريئة.

والكاتبة تحمل في سيرتها الكثير من الأمل والطموح والبهجة للأجيال القادمة في محاولتها لتغيير واقعها، وتوقعها بالتغيير مستقبلا وهذا ما حدث في عهد الرؤية عهد الأمير محمد بن سلمان -حفظه الله-

وتنشر الأمل والطموح في كتاباتها فتقول: " يغزوني اليأس فأتحصن بآيات مصحفي الصغير التي لا أحفظها فتعاقبني بالجحود ، أرقد نواحي إلى جواري ، وأسقط بأكبر صخرة تجثم على صدري فأبحث عن الضجيج وأنتظر . حين انتبهت إلى مرآتي التي هجرتها منذ مدة أدركت بأنني كبرت بسرعة دون أن أغترف الحياة ، يدفعني هذا الشعور في عباءة خيباتي؛ لأختنق به، ولكنني أقاوم. من ظن بأن من يتقدم به العمر سوف يكتفي من طموحه .. فقد أخطأ ، فأنا وإن كبرت وحيدة كنبتة صحراوية ؛ فلن أزهد في أحلامي".[١]

" ويظهر جانب من التشكيل النفسي للشخصية الرئيسية في (متطايرة حواسي) عن طريق شعورها بالغربة ، ومن ذلك قولها: لماذا تضيق بي كل الأرض ؛ فلا موطئ ألفه لي وأنا التي خلت كل الأرض سماء تتسع لتحليق طيري؟ . وفي السياق ذاته يظهر الجانب النفسي للشخصية الرئيسية عن طريق بيان موقف الشخصية الرئيسية من الجمادات: دفاتر تستوعب حرائقي المكتوبة فيها وتسترها عن سواي وتستضيف موائد حبي الملون حسب الظروف. في هذا المقطع السردي تتخفى الساردة بانعزالها إلى عالمها الخاص المتخيل ؛ لكي تزيح عن نفسها الوحدة ، فهذه الشخصية التي لا يسمع لها صوت بسبب انعزالها وقلة كلامها ، كانت تتحدث ولكن مع ما أطلقت عليها اسم "محسوساتي" ، ولذلك بعد نفسي ، فالشخصية اعتزلت الحديث مع الناس ، وأصبحت تتحدث مع الجمادات باعتبارها الأقرب.

كما تعبر هذه الشخصية عن غضبها إزاء كل من يسخر منها أو ينعت محسوساتها بالجمادات فتقول : من ينكر محسوساتي ، من يرى أنها جمادات فحسب ، أزعم أنه ناقص للمعرفة بكون ما وراء الكون"[٢]

تقول في متطايرة حواسي:" ذاتي شجرة تتهلهل في الأزقة والطرقات ، تهوي على الأرصفة "[٣]

وتأتي كلمة ذاتي في البداية لتعبر عن الحالة النفسية التي تعاني منها الكاتبة فتمتزج الغربة الداخلية بالضياع والمتاهات . وعبرت كلمة تتهلهل عن الصراع الداخلي وعدم الانسجام مع العالم الخارجي ،فالأرصفة دلالة على بحث الكاتبة عن الاستقرار في الأماكن الأمنة.

الكتابة ساعدت الذات على تحقيق وجودها خارجيا. والمكان "نظام من العلاقات التي يتمازج فيها المحسوس بالمجرد الذهني ، ويبرز من خلال الحيوية والطاقة التعبيرية التي يضيفها الأديب لمحتوى النص" [٤]

تقول هدى الدغفق:

---

[١] أنشر قلبي على حبل الغسيل: هدى الدغفق، ص٢١.

[٢] البنية السردية في السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية: دراسة إنشائية، شهد بنت خالد بن عب الرحمن بن عسل، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٢٤م، ص٤٩.

[٣] متطايرة حواسي، ص١٥

[٤] المكان في الرواية السعودية المعاصرة خلال القرن الأخير(١٩٧٥م-٢٠٠٠م) بندر بن مبارك السناني ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٥م، ص٢٤.

" أقيس بميزان الكون وزني ؛ لأدرك كم أنا خفيفة بفضل بكائي الطويل ، الذي أذيب به شحم همومي ، فمن سيأخذ بيدي غيري؟! تستفزني الأحداث المريرة التي تعصف بي ؛ فإما أن أتكيف وإما أن أتلطخ بحزني حتى يهدأ رماده ويرحمني"[١]

[١] أنشر قلبي على حبل الغسيل: هدى الدغفق، دار رواشن، ص١٨.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا ، ثم أما بعد ،

فقد انتهيت بفضل الله تعالى من كتابة هذه الدراسة حول السيرة الذاتية عند هدى الدغفق، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج ، جاء من أهمها :

١- السيرة الذاتية عند هدى الدغفق لم تكتبها لتظهر إبداعها ومهارتها الكتابية ؛ وإنما لتعبر عن معاناة عاشتها. والدليل أنها في السير الذاتية بداية حياتها يظهر التصريح أكثر من التلميح بينما في سيرها الأخيرة أصبحت الكاتبة تبحث عن السلام والعيش بهدوء مع من حولها فتكثر من الرمز في شذراتها السيرية .

٢- ليس الهدف من السيرة الذاتية النسائية السعودية متعة القارئ مثل فنون السرد الأخرى . وإنما إثبات صفات الكاتبة مثل الجرأة و التمرد والخروج على نظام الأسرة المحافظة في ذلك الوقت. ومحاولة تغيير المجتمع والخروج على النمطية .وكانت أحيانا للبوح والتعبير عن المشاعر فقط.

٣- من أبرز وظائف السيرة الذاتية عند هدى الدغفق(البوح) للكشف عن الذات وتطلعاتها .

٤- ركزت هدى الدغفق في سيرها المكتوبة على المعاناة التي عاشتها ونقد أوضاع المرأة السعودية . فكانت تلجأ للتمرد والرفض محاولة الإفلات من حياة لا تشبهها.

٥- التركيز على الأسرة والمجتمع في السيرة الذاتية عند هدى الدغفق، ربما لحاجتها الشديدة للأسرة والمجتمع الداعم .

وختامًا : فإن هذه الدراسة قامت على دراسة السيرة الذاتية النسائية السعودية؛ لاستجلاء وظائف الكتابة وأهدافها من خلال نصوص تحمل تجربة حقيقية ، ولذا توصي الباحثة بالاستمرار في مثل هذه الدراسات التي تعبر عن الواقع بصورة دقيقة وتعمل على إثراء المكتبة الأدبية بدراسات متخصصة ومتعمقة .

ثبت المصادر والمراجع:

المصادر:

مرتبة حسب تاريخ النشر

- الدغفق، هدى: أشق البرقع..أرى: جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١١م.
- الدغفق، هدى: متطايرة حواسي، أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.
- الدغفق، هدى: أنشر قلبي على حبل الغسيل،دار رواشن للنشر، ٢٠١٩م.

المراجع:

- الباردي ، محمد: عندما تتكلم الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث)، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٥م.
- الجهني، سارة: السيرة الذاتية النسوية تخشى البوح : الوطن، ٢٢ ديسمبر، ٢٠٢٢م.
- عبدالسلام، مصطفى بيومي: على ضفاف بحيرة الهايدبارك ،علامات، ج٦٦، مج١٧، شعبان ١٤٢٩.

-الجمعان ، سامي عبد اللطيف : الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي ، حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، مج ٢٧، ٢٠٢٣م.

-السناني، بندر بن مبارك: المكان في الرواية السعودية المعاصرة خلال القرن الأخير(١٩٧٥م-٢٠٠٠م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٥م.

-الغامدي ، صالح معيض: مجلة العربية : السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية ، المجلة العربية، ٢١-٩-٢٠١٧م.

-الغامدي، صالح معيض :السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية، العربية، ع ٥٧٨، نوفمبر، ٢٠٢٤م.

-الغامدي، صالح معيض: السير الذاتية النسائية السعودية وسؤال التجريب ، جريدة الجزيرة، السبت، ٢٦ يناير، ٢٠٢٤.

-الهوارية، عراج: السيرة الذاتية وإشكالية التجنيس ، جامعة وهران، مجلة أبحاث ع ٢، ٢٠١٤.

التميمي، أمل: في مشلح أبي ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠٢٢م.

-سليماني، رضوان: تمظهرات التمرد في الرواية السعودية" أنموذجا" ، جسور المعرفة ، ع ٢، مج ٨، ٢٠٢٢م.

-عباس ، وصفي ياسين: كتابة الذات بين المجابهة والمكاشفة قراءة ثقافية في (أشق البرقع أرى)، مجلة البحث العلمي ، ج٥، كلية العلوم والآداب بمحايل عسير،جامعة الملك خالد، ٢٠٢٠م..

-عسل، شهد بنت خالد بن عبد الرحمن: البنية السردية في السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية: دراسة إنشائية ، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٢٤م،

- غربي، ويزة :التحايل على الميثاق السير ذاتي في السيرة الذاتية النسائية، مجلة الآداب واللغات ، مج ٧، ع٢" البليدة، ٢٠١٨م.

-لوجون، فيليب: السيرة الذاتية(الميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز الثقافي العربي ،